بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

علم الاتصال القرآني
(المناسبات)

من كتاب (الأساس والتنوير
في أصول التفسير)

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

الأصل الخامس: علمُ الاتصال القرآني

(المناسبات القرآنية)

ويتضمن دراسة المباحث الآتية:

المبحث الأول: أهمية علم الاتصال القرآني.

المبحث الثاني: علاقة (علم الاتصال القرآني) بأصول التفسير.

المبحث الثالث: أبرز معالم نشأته وتطوره، وأهمُّ مصادره.

المبحث الرابع: تعريف علم المناسبة.

المبحث الخامس: فوائد هذا العلم.

المبحث السادس: آراء مغايرة في علم المناسبات: .

المبحث السابع: أنواع علاقات التناسب.

المبحث الثامن: القانون الكلي لمعرفة المناسبة.

المبحث التاسع: أسباب ارتباط الآي بعضها ببعض.

المبحث الأول: أهمية علم الاتصال القرآني

هذا العلم جزء من علم أوسع منه يمكن أن نطلق عليه: علم الاتصال القرآني، أو علم النظم القرآني؛ فالحديث فيه يدور حول الارتباط المُحْكَم بين السور والمحاور والأقسام والآيات في القرآن الكريم.

ستقول: عرفنا أن القرآن يتألف من سور، وأجزاء، فما المراد بالمحاور والأقسام ؟

الجواب: التقسيم المشهور في عهد النبي ﷺ نوعان:

النوع الأول: التقسيم السباعي للقرآن المجيد الذي يتم ختم القرآن من خلاله في سبعة أيام الوارد في حديث أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ أسلموا من ثقيف من بنى مالك، أنزلنا في قبة له فكان يختلف إلينا بين بيوته وبين المسجد، فإذا صلى العشاء الآخرة انصرف إلينا، ولا نبرح حتى يحدثنا ويشتكي قريشًا ويشتكي أهل مكة، ثم يقول: «لا سواء كنا بمكة مستذلين ومستضعفين، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب علينا ولنا». فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال: قلنا ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «طرأ عليَّ حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه» قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[1]، واختصر العلماء أسماء السور التي يبدأ بها هذا التقسيم في قولهم: (فمي بشوق)، فالفاء: من سورة الفاتحة إلى آخر النساء، والميم: من سورة المائدة إلى آخر التوبة، والياء: من سورة يونس إلى آخر النحل، والباء: من سورة بني إسرائيل ـ أي الإسراء ـ إلى آخر الفرقان والشين: من سورة الشعراء إلى آخر يس، والواو: من سورة والصافات إلى آخر الحجرات، والقاف: من سورة ق إلى آخر سورة الناس.

النوع الثاني: التقسيم الرباعي: الوارد في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المِئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلت بالمفصل»[2].

والنوع الأول والثاني ليس محل بحثنا هنا، ولكن يعنينا في دراسة (علم الاتصال القرآني) بشكل رئيس: المحاور، والأقسام التي تتكون منها كل سورة، وكذا الاتصال والتناسب بين السورة والتي قبلها والتي بعدها، فضلًا عن تناسب آيات السورة الواحدة.

---

(١) أحمد (١٦٢١١)، وضعفه الأرناؤوط والألباني، ولكن العراقي من قبلهما حسنه في تخريج أحاديث الإحياء (ص: ٣٢٧)، والعمل به مشهور.

(٢) أحمد (١٧٠٢٣)، وحسن الأرناؤوط إسناده، وصححه الألباني بمجموع طرقه. الصحيحة (١٤٨٠).

وأقصد بالمحاور: المقاطع الكبرى التي تتكون منها كل سورة، وهي تمثل موضوعاتها الكبرى، وقضاياه الرئيسة حسب تتابع الآيات، وأما الأقسام فأريد بها: المقاطع التي يتكون منها كل محور من محاور السورة، والعناية بإبراز اتصال هذه المحاور والأقسام وانتظامها في عقد واحد هو ما نقصده من دراستنا لعلم (الاتصال القرآني)، أو (نظام القرآن).

ستقول: لماذا نتكلم عن علم نظام القرآن الكريم، وعن علم المناسبات بين السور والآيات؟

والجواب عن ذلك يتلخص في الآتي:

أما أولاً: لأن ترتيب الآيات توقيفي إجماعًا؛ وكذلك السور على الراجح، وهذا الترتيب يقتضي وجودَ حكمةٍ في وضع آياتٍ نزلت متأخرةً في في أول السورة مثلاً والعكس، **فيحتاج المفسر إلى معرفة نظام القرآن في سوره وآياته**، وسبب وضع كل منها في موضعه دون أن يكون موضعه في مكان آخر، ولذا وقع البحث أيما أولى البداءة به: بتقدم السبب على المسبَّب أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول، والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفًا على سبب النزول كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، فينبغي فيه تقديم ذكر السبب؛ لأنه من باب تقديم الوسائل على المقاصد وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة(١).

وأما ثانيًا: فلأن الله ﷻ سوَّر السورة القرآنية، فجعل هذه الآيات التي توجد في السورة مسورة بسورتها؛ ولا بد أن تظهر الحكمة من هذا التسوير لهذه الآيات دون غيرها، وقل لي: ألم تر إلى ربك -تعالى شأنه- كيف جمع للقرآن المجيد في خصائصه بين الحكمة والإحكام؟

فأما الحكمة ففي مثل قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[يونس: ١، لقمان: ١]، فهذا دليل على الحكمة في نظمه ومعناه، وكيف تتم الحكمة في المعنى دون الحكمة في النظم؟

وأما الإحكام فقد قال ربي جل ذكره: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فالآيات أحكمت ثم فصلت وفقًا لذلك الإحكام، فهو كتاب محكم في سوره وآياته يتصل بعضها ببعض على أكمل وجه وأتمِّه، وذلك يقتضي معرفة المناسبات بين الآيات والسور التي تكاد أن تشكِّل كلمة واحدة ليستبين إعجاز القرآن، ودقة نظمه ونظامه.

ماذا قال الرازي رحمه الله عن أهمية علم المناسبات؟

الجواب: قال الإمام الرازي رحمه الله عن علم المناسبات: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٢)، وذكر رحمه الله عدم اهتمام جمهور المفسرين بذكر لطائف هذا العلم، فقال عن سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٤).

(٢) مفاتيح الغيب (١٠/ ١١٣).

بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته... إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متنبهين لهذه الأمور»[(١)].

وأما ثالثًا: فلأن الله ﷻ وصف القرآن بأنه غير ذي عوج، فيقول سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى ذكره: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨]؛ أفيكون غير ذي عوجٍ في معناه، ولا يكون كذلك في لفظه ومبناه؟

وأما رابعًا: فلأن للسياق أثرًا في فهم المنساق:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قيل: هو الولد، وقيل: ليلة القدر، وقيل: ما أحله لكم ورخص لكم، ورجح بعضهم الأول؛ لمناسبته السياق، حيث جاء عقب قوله: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾؛ ولكنك إن تأملت الآية وجدت السياق يشهد للأقوال الثلاثة جميعًا، فكل من الولد وليلة القدر وذكر ما أحل ورخص تضمنته الآيات أو أشارت إليه صراحة أو كناية، ولذا قال الزركشي ﷺ: "المناسبة علمٌ شريفٌ، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول"[(٢)].

وأما خامسًا: فلأن القرآن كتاب هدايةٍ، وتربيةٍ، وتزكيةٍ، وإعجازٍ، فنظمه ينبغي أن يكون كذلك، ولا يكون كذلك إلا إذا كان الكلام متصلًا متتابعًا حكيمًا محكمًا.

المبحث الثاني: علاقة (علم الاتصال القرآني) بأصول التفسير

ما علاقة (علم الاتصال القرآني) بأصول التفسير؟

الجواب: يظهر لك ارتباط هذا العلم بأصول التفسير بصورة واضحة من جهة أن المفسر يحتاج إلى معرفة نظام القرآن في سوره وآياته؛ ليبيّن وجه الإعجاز والهداية من جهة، وليظهر له معنى الآياتِ تحديدًا من جهةٍ أخرى.

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان -وفقه الله-:

والـــــذِّكْرُ للإعْجـــــاز، والتَّزْكِيَـــــةِ ... جـــــاء، كـــــذا هِـدايَـــــةٍ، تَرْبِيَـــــةِ

فنَظْمُـــــهُ كـــــذاكَ في الإتقـــــان ... والهَـــــدْيِ، والإعْجـــــازِ، والبَيـــــانِ

وأما سادسًا: فللرد على من زعم أن القرآن الكريم متنافرٌ متناثر الأجزاء، فهم رأوا فيه كثرة المثاني، وهي الآيات المتماثلات أو المتشابهات لفظًا أو معنى وقد تكررت في مواضع متعددة، ورأوا قصصًا متماثلة أو متشابهة تتكرر، ووجدوا متكاملات موضوعية قد فرق بينها كالربا تجده في ثلاث سور، والطلاق تجده في سور متعددة، والسيرة النبوية تجدها مفرقة دون رابط تاريخي، وانظر مثلاً إلى المنهج القرآني في إيراد أحداث غزوة بدر في سورة الأنفال تجده مخالفًا كل المخالفة للمنهج التاريخي،

---

(١) تفسير الرازي (١٠٦/٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣٥/١).

ولما لم توجد المناسبة بصورة مباشرة زعم بعض المستشرقين أنه كتاب متنافر الأجزاء يصعب على قارئه فهم ترابط آياته.

المبحث الثالث: أبرز معالم نشأته وتطوره، وأهمُّ مصادره

ما أبرز معالم نشأة علم الاتصال القرآني؟

الجواب: تتخلص معالم نشأة هذا العلم فيما يأتي:

أولاً: بدايته، كما قال البقاعي ﷺ في كتابه: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور): "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية"[(١)]، واستدل على ذلك بأن أعرابيًّا -لم يكن قرأ القرآن- سمع قارئًا يقرأ آية: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فأبدله القارئ فقال: (غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، فقال الأعرابي مصوبًا: "إن الحكيم لا يَذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراءٌ عليه[(٢)]".

---

(١) مصاعد النظر (ص: ١٥٣).

(٢) ينظر ذلك كاملًا في: مصاعد النظر (ص: ١٥٣ وما بعدها)، الكشاف (١/ ١٢٥)، تفسير النسفي (١/ ١٠٠).

ما وقف الإمام الطبري ﷺ من علم المناسبات؟

الجواب: إن رجعت إلى شيخ المفسرين الطبري (ت٣١٠هـ)ﷺ تجده قد أشار إلى المناسبات بين الآيات في مواضع من تفسيره، وجعل السياق أحد القواعد المرجحة للمعاني، فمن ذلك ربطه الآية (١٢٦) من سورة النساء بما قبلها من ذكر أن الله ﷻ اتخذ إبراهيم خليلاً، حيث قال: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا﴾ [النساء: ١٢٦]: قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: "﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥]؛ لطاعته ربَّه، وإخلاصه العبادة له، والمسارعةِ إلى رضاه ومحبته، لا من حاجةٍ به إليه، وإلى خُلَّته. وكيف يحتاج إليه وإلى خلَّته، وله ما في السماوات وما في الأرض من قليل وكثير مِلْكًا، والمالك الذي إليه حاجة مُلْكه، دون حاجته إليه؟ يقول: فكذلك حاجة إبراهيم إليه، لا حاجته إليه، فيتخذه من أجل حاجته إليه خليلًا، ولكنه اتخذه خليلًا؛ لمسارعته إلى رضاه ومحبته. يقول: فكذلك فسارعوا إلى رضايَ ومحبتي لأتخذكم لي أولياء"[(١)].

وتجد للطبري ﷺ تعالى لفتاتٍ عظيمة في علم الاتصال تعكس شخصيته المتفردة في علم التفسير.. إنها الشخصية التي لا أعرف لها نظيرًا بين المفسرين إلى عصرنا، فخذ أيضًا من ذلك ربطه بين قول الله ﷻ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٣٠] وقوله بعد ذلك: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النساء: ١٣١]، حيث يقول ﷺ: "وإنما ذكر جل ثناؤه ذلك بعقب قوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾، تنبيهًا منه خلقَه على موضع الرغبة عند فراق أحدهم زوجته؛ ليفزعوا إليه عند الجزع من الحاجة، والفاقة، والوَحْشة بفراق سَكنه وزوجته، وتذكيرًا منه له أنه الذي له الأشياء كلها، وأن من كان له ملك جميع الأشياء، فغير متعذِّر عليه أن يغنيَه وكلَّ ذي فاقة وحاجة، ويؤنس كلَّ ذي وحشة"[(٢)].

مَنْ أول مَنْ أظهر علم المناسبات؟

ثانيًا: ذكروا أن ممن أظهر ببغداد علمَ المناسبة الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري الشافعي (ت٣٢٤هـ) -وكان غزير العلم في الشريعة والأدب- كان يقول على الكرسي إذا قُرئت عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة[(٣)].

ثالثًا: ثم جاء مُحَمَّد بن علي الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير (ت٣٦٥هـ) ﷺ، قال فيه الذهبي ﷺ: سئل أبو سهل الصعلوكي (ت٣٦٩هـ) عن تفسير أبي بكر القفال، فقال:

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢٩٥).

(٣) البرهان (١/ ٣٦).

"قدسه من وجه، ودنسه من وجه" أي: دنسه من جهة نصرة الاعتزال، واستفاد منه السيوطي ﵀ في المناسبات، وبين أن الرازي ﵀ نقل عنه(١).

هكذا قال الصعلوكي ﵀، وغير خافٍ عنك أن التُهَمَ تفتقر إلى التبين والتثبت إلا أن تكون صادرةً عن معصومٍ، ولا معصوم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكثيرًا ما يتهم المرء بالانتساب إلى مذهب لمجرد أنه حكاه وعقب عليه بما لا يفيد رده، أو حكاه ولم يعقب عليه، أو أقرَّ ببعض مسائله التفصيلية التي تحتمل النظر.. فما الضير من مثل ذلك؟ وهل مثل هذا إلا الانصاف ذاته، ولقد رأيت أن الإمام ابن حجر ﵀ تعالى بعد الرازي ﵀ يُكثر من النقل عن القفال ﵀، وذلك دال على رتبته العلمية.

ولقد أحسن الإمام الذهبي النقَّاد البصير المخبت ﵀ حين عقب على قول الصعلوكي بقوله: "قلت: قد مر موته، والكمال عزيز، وإنما يمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق ولا قوة إلا بالله"(٢).

رابعًا: وقد شكا القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ﵀ في كتابه (سراج المريدين) من ضعف النظر في هذا العلم، وقال: "ثم فتح الله ﷻ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"(٣).

خامسًا: وتعرض له الفخر الرازيُّ مُحَمَّد بن عمر (ت٦٠٦هـ) ﵀، فقال: "أكثر لطائف القرآن مودعةٌ في الترتيبات، والروابط"، وبيَّن أن الإعجاز الأسلوبي يرجع إليه(٤)، وله -غير التفسير- كتاب: (أسرار التنزيل وأخبار التأويل)(٥)، وتوفي قبل إتمامه(٦)، هكذا ذكر بعض من ترجم له ﵀، وعندما تقرأ كتابه "أسرار التنزيل" لا تجده في اللطائف القرآنية، بل هو في كلمة: "لا إله إلا الله" ومعانيها، وثمراتها، وأسرارها.

فإن قلت هلَّا ضربت لنا مثالًا يوضح اهتمام الرازي بعلم المناسبات؟

الجواب: اضرب لهم مثلاً لذلك عند تفسيره لقوله -تعالى مجده-: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣]، فقال: "(لَيْسَ) فِعْلٌ، فَلَا بُدَّ مِنَ اسْمٍ يَكُونُ هُوَ مُسْنَدًا إِلَيْهِ، وَفِيهِ وُجُوهٌ:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/٣١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٣١٠).

(٣) البرهان (١/ ٣٦)، تنوير الحوالك (١/ ٢٣٩).

(٤) تفسير الرازي (٥/٢٤٥) عند تفسير سورة النساء الآية (٥٨).

(٥) الوافي في الوفيات (١/ ٥٤١).

(٦) كشف الظنون (١/ ٨١).

الْأَوَّلُ: لَيْسَ الثَّوَابُ الذي تقدم ذكره والوعد به في قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النساء: ١٢٢]الْآيَةَ، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أَيْ: لَيْسَ يُسْتَحَقُّ بِالْأَمَانِيِّ، إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

الثَّانِي: لَيْسَ وَضْعُ الدِّينِ عَلَى أَمَانِيِّكُمْ.

الثَّالِثُ: لَيْسَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بِأَمَانِيِّكُمْ.

وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ إِسْنَادَ: (لَيْسَ) إِلَى مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِيمَا قَبْلُ أَوْلَى مِنْ إِسْنَادِهِ إِلَى مَا هُوَ غَيْرُ مَذْكُورٍ"[١].

سادسًا: جاء أبو الحسن علي بن أحمد الحرالّي الأندلسي (ت٦٣٧هـ) ﷺ، فأشار إليه في كتابه: (مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل)، وكثيرًا ما ينقل عنه الإمام البقاعي ﷺ في (نظم الدرر)، ويحتفي به، ولولا ما تراه من ظهور الفلسفة والمنطق الزائد عن حده في عباراته لكان مبينًا، ولا يخلو من فوائد.

ما مدى تأثر البقاعي بالحرالّي في علم المناسبات؟ وما موقف ابن تيمية من تفسير البقاعي –رحمهم الله جميعًا–؟

الجواب: بيَّن المقري أن البقاعي استفاد من تفسير الحرالي –رحمهم الله جميعًا–، وأثنى عليه فقال: «وهو تفسير حسنٌ، وعليه نسج البقاعي ﷺ مناسباته، وذكر أن الذي وقف عليه منه من أول القرآن إلى قوله في سورة آل عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:٣٧]»[٢] والظاهر أنه استفاد منه أصولاً...وذكر الذهبي ﷺ أن ابن تيمية حط على تفسيره؛ لسيره على طريقة الفلاسفة، ولإغرابه في مواضع كمعرفة وقت خروج الدجال[٣].

مَنْ أول من أفرد علم المناسبات بالتصنيف؟

سابعًا: أول من أفرد علم المناسبات القرآنية بالتصنيف هو: (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي) النحوي الحافظ ﷺ (ت٧٠٨هـ) صاحب: (البرهان في تناسب سور القرآن)، و(ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من التنزيل)، وأشار إلى هذا الفن ابن القيم ﷺ (ت٧٥١هـ) في (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن)[٤]، وتنبه ولي الدين الملوي شيخ الزركشي ﷺ (ت٧٩٤هـ) له فقال: "ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسباتها لما قبلها؛ ففي ذلك علم جم،

---

(١)تفسير الرازي (١١/ ٢٢٥).

(٢) نفح الطيب (٢/ ١٨٧).

(٣) تاريخ الإسلام (٤٦/٣٣٧).

(٤) بيّن الشيخ بكر أبو زيد ﷺ عدم صحة نسبة الكتاب إلى ابن القيم ﷺ من عدة أوجه. ينظر كتاب ابن القيم الجوزية حياته آثاره موارده (٢٩١-٢٩٢).

وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له"[١]، **وجاء الزركشي ﷺ فأشار إلى بعض أصول هذا العلم في كتابه:** "البرهان في علوم القرآن".

اذكر أهم الكتب المؤلفة في علم المناسبات القرآنية.

ثامنًا: من أهم كتب علم المناسبات: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ) تلميذ المَشَدَّالي – رحمهما الله–، وذكر في آخره أنه أقام فيه أربع عشرة سنة، وقال في آخره: "وسميته: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، ويناسب أن يُسمَّى: فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن. وأنسب الأسماء له: ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان"، ثم اختصره في: دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم، وله: (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، قال: ويصلح أن يسمى: (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى)[٢].

ما السمات التي اتسم بها كتاب البقاعي ﷺ (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)؟

الجواب: عندما تقرؤه يبدو لك فيه علمٌ جم، وتدبرٌ بديعٌ لكلام الله تعالى ذكره، وقد اتسم بأمرين أساسيين:

أولهما: المناسبات بين الكلمات والآيات، والسور، وقد يذكر أحيانًا المقاصد العامة للسورة لكنه غالبًا يغفلها ويكتفي بالمناسبة الآنية أي القريبة بين هذه الآية وتلك الآية، أما النظام العام للسورة فلا يحتفي به حفاوته بالمناسبات الجزئية.

وثانيهما: كثرة نقله عن كتب أهل الكتاب، وأسفارهم حتى ربما رأيت عشر صفحات أو أكثر في النقل عنهم، وقد شنع عليه قومٌ ذلك، فإن أنصفت وجدت فعله من أعظم المزايا سواء أكان ذلك لبيان مزية الكلام الإلهي الخاتم، أم للمقارنة بين العلم الذي يقدمه القرآن، والعلم الذي يقدمه الكتاب المقدس عند أهل الكتاب بما اختلط فيه من التحريف.

تاسعًا: ومن كتب علم المناسبات: (تناسق الدرر في تناسب السور) للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ﷺ (ت٩١١هـ)، وكان قد سماه سابقًا (نتائج الفكر في تناسب السور)[٣]، وطبع تحت اسم: (أسرار ترتيب القرآن)[٤]، وهذا الكتاب جزءٌ أفرده من كتاب له

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣٧/١).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٤٣/٢٢، ٤٤٤).

(٣) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور (ص: ٥٥)، والعجيب أن السيوطي قد نص على أن اسمه (تناسق الدرر) في المقدمة، لكن المحقق أخرجه باسم (أسرار ترتيب القرآن) في طبعتين أخريين للكتاب.

(٤) طبعته دار الاعتصام، باسم (أسرار ترتيب القرآن)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢، سنة ١٩٧٨م، وطبع أيضًا بهذ الاسم في دار الفضيلة بالقاهرة، بتحقيق عبد القادر المتقدم، ومرزوق علي إبراهيم، في حين طبعته دار الكتب العلمية، بتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط١، سنة ١٩٨٦م، باسم (تناسق الدرر في تناسب السور).

أكبر منه هو كتاب (أسرار التنزيل)، وهو جامع لمناسبات السور والآيات[١]، كما أن في كتابه الحافل الإتقان إشارات لأسس هذا العلم، وله كتاب رابع هو: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)[٢]، وأشار إليه في الإتقان[٣].

عاشرًا: ثم جاء عبد الحميد بن أحمد الأنصاري الفراهي ﵀ (ت١٣٤٩هـ): فألف فيه: (نظام القرآن)، و(دلائل النظام)، و(التكميل في أصول التأويل)، وتستطيع أن تزعم أنه من المجددين في هذا الباب، إلا أنه لم يكمل تفسيره، ولقد تفرد بلفتاتٍ نادرةٍ في بيان نظام القرآن المجيد، ولم يرتض الاكتفاء بالمناسبات الجزئية بين الآيات حتى حاول التقعيد التام لكيفية الوصول إلى نظام السورة كاملاً.

أحد عشر: ثم جاء الشيخ مُحَمَّد عبده، كما في (تفسير المنار)، حيث نقل عنه تلميذه مُحَمَّد رشيد رضا –رحمهما الله– الاعتناء بهذا الفن، وكذا تلاميذ الأستاذ مُحَمَّد عبده كمصطفى المراغي ﵀.

ثاني عشر: ومن هذه الجهود المباركة المتميزة الكتاب الأعجوبة الذي أنتجه يراع الشيخ الدكتور/ مُحَمَّد عبد الله دراز ﵀ (ت١٣٧٧هـ): النبأ العظيم، وإن كنت عند التأمل تجد أصل نقوله وتقريراته ترجع إلى نقولٍ واضحة عن الإمام الرازي ﵀ غير أنه تميز بمزيد عطاء، وإخراج الكلمات مزينة بحليٍّ مزخرف زاد إظهار الإعجاز القرآني، وأبان بهاءه.

وكذا ظهر الاهتمام بهذا العلم عند الأستاذ سيد قطب (ت١٣٨٥هـ) ﵀ في كتابه الفريد: (في ظلال القرآن الكريم)، وفي كتابه الآخر: (التصوير الفني في القرآن).

ثالث عشر: ومن الجهود في هذا الباب كتاب: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) للشيخ عبد الله بن مُحَمَّد الصديقي الغماري ﵀، وقال عنه نظمًا:

وكتبـــــتُ مثـــــل كتـابهـــــم ... بحثـــــًا يـؤيـــــده النـظَـــــرْ

أعمـــــلت فيـــــه قريحتـــــي ... واختـــــرت أنســـــب الفكـــــرْ

وأتيـــــت مـــــن عـــــين المســـــا ... ئـــــل بالبدائـــــع والـغُـــــررْ

أُلْهِـــــمْتُ مـــــن فيـــــض الإلـــــه ... بفيـــــض فضـــــلٍ مُـدَّخـَـــــرْ

حمـــــدًا لـواهـــــب فـضـــــله ... ولـــــه التـطـــــوُّل إذ ســـــترْ

وصـلاتـــــه دومـــــًا عـــــلى ... خيـــــر البريـــــة مـــــن مُضَـــــرْ[٤]

---

(١) الإتقان (٢/ ٢٨٨).

(٢) والكتاب مطبوع، طبعته مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، تحقيق: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، ط١، ١٤٢٦هـ، وذكر السيوطي في مقدمة هذا الكتاب أنه للمناسبات التي بين المطالع والخواتيم (ص: ٤٧).

(٣) الإتقان (٢/ ٢٩٦).

(٤) ذكر هذه الأبيات في جواهر البيان قبل المقدمة كاستهلال له.

المبحث الرابع: تعريف علم المناسبة:

عرَّف المناسبة لغة واصطلاحًا؟

أولًا: المناسبة لغة:

من (نَسَبَ) وهي كلمة تدل على اتِّصَال شَيْءٍ بِشَيْءٍ، ومِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ. فتَقُولُ: نَسَبْتُ أَنْسُبُ بضم السين وكسرها، وَهُوَ نَسِيبُ فُلَانٍ، وَالنَّسِيبُ والنيسبان: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِاتِّصَالِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ(١)، وتُستعمَل النّسبةُ في مقدارَيْنِ مُتجانِسَيْنِ بَعْضَ التَّجَانُسِ يختصُّ كلّ واحد منهما بالآخر(٢)، والنسبة المقاربة، وفلان يناسب فلانًا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس إذا حصلت مقاربته للحكم ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

ثانيًا: المناسبة اصطلاحًا:

عرفها ابن العربي رحمه الله فقال: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"(٣)، وعرف ابن القيم رحمه الله التناسب بأنه: "ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"(٤)، عرَّف البقاعي رحمه الله علم مناسبات القرآن بأنه: "علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه"، ثم بين أهميته، فقال: "هو سرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"(٥).

علم النظام القرآني:

ما الفرق بين تناسب الآيات والسور ونظام القرآن؟

الذي بيناه فيما سبق كان علم المناسبات، ثم جاء الإمام الفراهي رحمه الله فلفت النظر إلى نظام القرآن كاملاً، وبين أن الفرق بين تناسب الآيات والسور ونظام القرآن أن التناسب جزء من النظام؛ فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مستقلاً بنفسه، وطالِبُ التناسب ربما يقنع بمناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها؛ فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بُعد منها، وحدد أن المراد بالنظام أن تكون السورة كُلاً واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها قريبة كانت

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٢٣، ٤٢٤).

(٢) المفردات للراغب (ص: ٤٩٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/٣٦).

(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن (ص١٣٠).

(٥) نظم الدرر (١/٦).

أم بعيدة، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السورة معترضة، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه، من الأول إلى الآخر[١].

ما أعظم مقاصد المناسبات؟ وما أس أساس علم النظام القرآني؟

أعظم مقاصد المناسبات، وأساس علم النظام: إظهار عمود السورة:

من أعظم ما يشير إلى نظام القرآن عند الفراهي ﵀ الموضوع الكلي للسورة، ويسميه د/مصطفى مسلم ﵀ "محور السورة"، وهو الذي سماه الفراهي عمود السورة، ولكنه قرر أن:

> معرفة عمود السورة من أصعب المجالات التدبرية، وإن لم توله عنايتك ورعايتك، وتستمد من مولاك أن يفتح لك بما تشرق معه نفسك فإنك ستقع أسيراً لأن تجعل الموضوع أحد المقاصد العامة التي يدور حولها القرآن المجيد

كيف يمكن الوصول إلى تحديد عمود السورة؟

ولكن طريق الوصول إلى عمود السورة وعر شاق؛ لأن الله ﷻ لو أراد بيانه لحدده في اسمها، أو في مقدمتها بصورة مباشرة، ولكنه تعالى مجده جعله خاضعًا للتدبر، ويقرر الفراهي ﵀ هذه الصعوبة فيقول: "اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليدٌ لمعرفة نظامها، ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"[٢].

ما أثر معرفة الخريطة الكلية للسورة في تحديد عمود السورة؟ وكيف يمكن الوصول إلى هذه الخريطة الجامعة لمحاور السورة؟

وقد حددت في بحثي عن "تسوير سور القرآن العظيم"[٣] ستة أسس تؤدي إلى معرفة "عمود السورة" من أهمها الخريطة الكلية للسورة، ولا يمكن الوصول إلى الخريطة الكلية للسورة إلا بمعرفة تفسيرها حرفًا حرفًا وكلمة كلمة، فمن التفسير الجزئي نصل إلى التفسير الكلي، ونبصر من الكلي أثره على المعنى الجزئي.

---

(١) دلائل النظام (ص: ٧٤).

(٢) دلائل النظام (ص: ٧٧).

(٣) سينشر هذا البحث قريبًا.

المبحث الخامس: فوائد هذا العلم

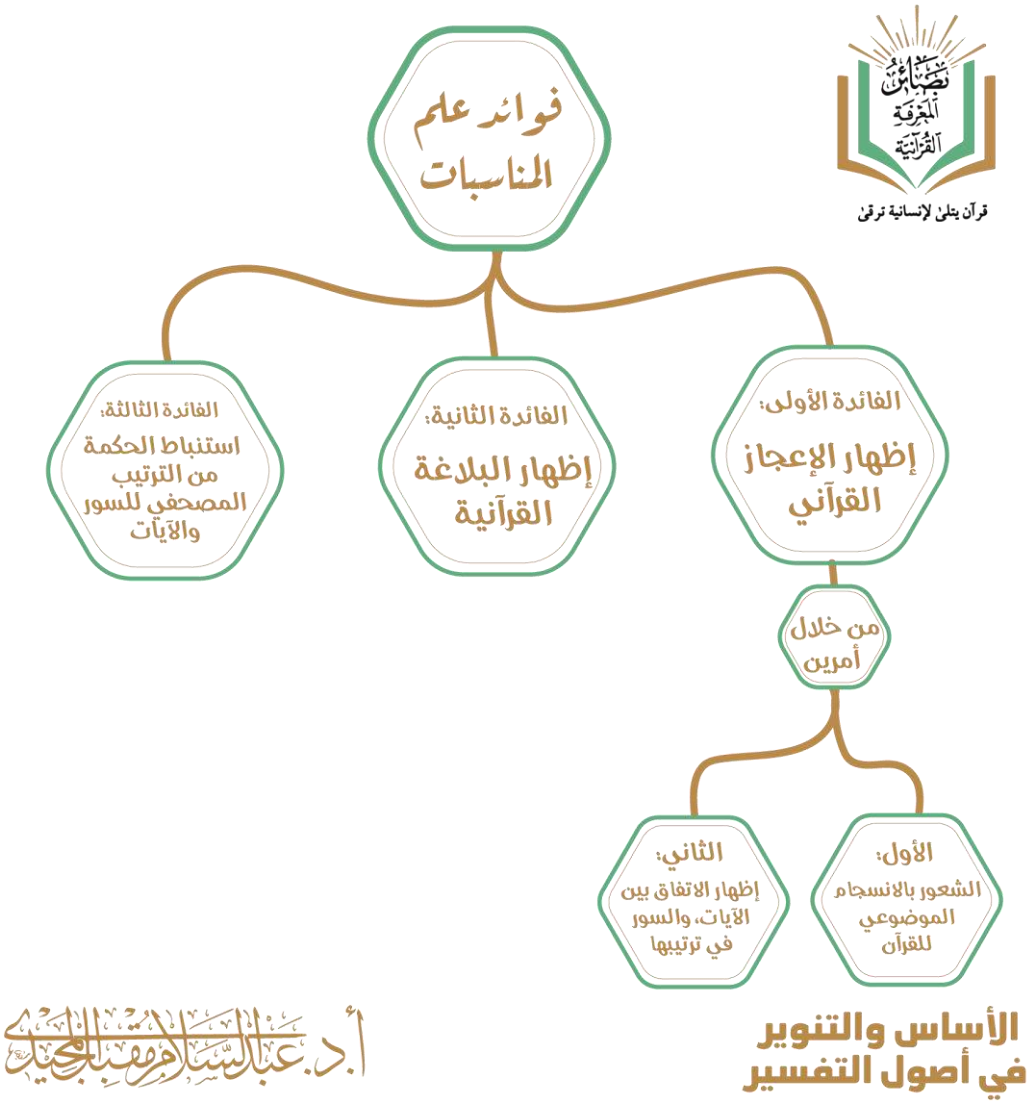

لعلك تسأل: ما فوائد علم المناسبات؟ وكيف يظهر من خلالها الإعجاز القرآني؟

الفائدة الأولى: إظهار الإعجاز القرآني:

وذلك من خلال أمرين:

أ) الشعور بالانسجام الموضوعي للقرآن، وتناسق القضايا التي تطرقت إليها آياته بحيث يُرَبَّى عليها المخاطبون (فالفائدة هنا معنوية)، مما يؤدي إلى إدراك مقاصد القرآن المجيد.

ب) إظهار الاتفاق بين الآيات، والسور في ترتيبها، فـ" أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[(١)] ليحقق بعض مظاهر الانسجام الوارد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] (فالفائدة هنا لفظية).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٣٥).

الفائدة الثانية: إظهار البلاغة القرآنية:

ولذا قال البقاعي ﷺ في (مصاعد النظر): "هذا؛ وإن العلم الذي أفاض الله -وله الحمد- عليَّ، أصله: بذل الرقة والانكسار، والتضرع والافتقار لأدق العلوم أمرًا، وأخفاها سرًّا، وأعلاها قدرًا؛ لأنه في الحقيقة إظهار البلاغة من الكتاب العزيز...وثمرته: الاطلاع على المرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلُحمة النسب"[(١)].

الفائدة الثالثة: استنباط الحكمة من الترتيب المصحفي للسور والآيات، وهو ترتيبٌ يخالف الترتيب التاريخي.

ما سبب عدم اعتباره عند بعض أهل العلم؟

الجواب: أنه استنباطٌ على الأغلب، لا يتعدى أن يفيد الظن[(٢)]، وكثيرًا ما يعتمد على الذوق، وقد يكون متكلفًا.

المبحث السادس: آراء مغايرة في (علم المناسبات)

لعلك تسأل: من أبرز مَنْ ردَّ علم المناسبات؟ أو تحفظ عليه؟

أولاً: تحفظ الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) ﷺ في الأخذ بهذا العلم على عواهنه فقال: " واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض؛ لئلا يكون مقطعًا متبرًا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف..."، ثم رد علم المناسبات بما ذكره الشوكاني ﷺ[(٣)].

ثانيًا: نُقِل عن أبي حيان ﷺ صاحب (البحر المحيط) كلامًا شبيهًا بكلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام مع أن أبا حيان ذكر في مقدمة البحر المحيط منهجه في التفسير، ومما التزمه أنه يشرع في تفسير الآية ذاكرًا مناسبتها وارتباطها بما قبلها[(٤)]، **وقد وفى بما التزمه كما يطالعه من يقرأ في تفسيره.**

ثالثًا: ردَّه الشوكاني ﷺ من حيث الأصل، وأنكر على من اشتغل به، فقال: "جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه" واستدل على ذلك بأن القرآن نزل مفرقًا فأنى توجد المناسبة؟[(٥)].

---

(١) مصاعد النظر (١/١٤١، ١٤٢).

(٢) وقد يقال: هذا شأن كثير من المسائل والعلوم القائمة على التدبر والتفكر.

(٣) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٧٨).

(٤) البحر المحيط (١/ ٤).

(٥) انظر: فتح القدير(١/ ١١٦).

وعلى الرغم من نقد الشوكاني ﷺ للبقاعي ﷺ إلا أن المرء يجده عند ترجمته للبقاعي ﷺ في كتابه (البدر الطالع) يثني عليه، فيقول: "إنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف"(١). ومدح تفسيره بقوله: "ومن أمعن النظر في كتاب له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول، وكثيرًا ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز وأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي غليلي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد"(٢).

ولكنك قد تتساءل: هل يعني هذا أن الشوكاني ﷺ لا يهتم بعلم المناسبات في تفسيره؟

الجواب: من اللافت أن الشوكاني ﷺ رغم تصريحه بموقفه من (المناسبات) إلا أننا نجده يحتفي بها ويقررها في مواضع من تفسيره، ومن ذلك على سبيل المثال قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة: ٢٥]: "لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقب بجزاء المؤمنين؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز"(٣).

ومن ذلك أيضًا قوله عند تفسير: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ..﴾ [البقرة: ١٦٤]: "لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله: وإلهكم إله واحد، عقب ذلك بالدليل الدال عليه، وهو: هذه الأمور التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيم"(٤).

والعجيب أنك بشيء من إعمال الفكر ستجد أن ما ذكره الشوكاني ﷺ في رد علم المناسبات هو عين ما يمكن أن تستدل به على إثباته، فهو مما يقبل العكس في الاستدلال، وكل الأدلة التي ذكرت لنقض هذا العلم هي صالحة تمام الصلاحية للاستدلال على إثباته...بل إن الاعتبار أقوى من عدمه، ولذا وهَّم بعض أهل العلم من أنكر علم المناسبات، ومنهم الشيخ مُحَمَّد بن أحمد الديباجي المنفلوطي ولي الدين الملوي الذي ﷺ وصفه الزركشي ﷺ بأنه أحد مشايخه المحققين، إذ قال الملوي ﷺ فيمن أنكر علم المناسبات: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة...**وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا**، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم

(١) البدر الطالع (ص: ١٢٢).
(٢) البدر الطالع (ص: ١٢٢).
(٣)فتح القدير للشوكاني (١/ ٦٤).
(٤)فتح القدير للشوكاني (١/ ١٨٨).

يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، فإنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير"[(١)].

ويقرر المحقق محمد عبدالله دراز ﷺ المعنى ذاته وفق أسلوبه الفذ حينما يقول: "إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده، ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة"[(٢)]، ولعل هذا عين ما أشار إليه ابن سيرين ﷺ بقوله: " تأليف الله خيرٌ من تأليفكم"[(٣)].

المبحث السابع: أنواع علاقات التناسب

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣٧)، وتسميته وردت عند السيوطي في الإتقان (٢/ ٢٨٩).

(٢) النبأ العظيم (ص: ١٨٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/٤٦٩).

ما أنواع علاقات التناسب؟

الجواب: عند التأمل ستكتشف أنواعًا متعددة للعلاقات التي تدل على تناسبٍ ما بين حرفين أو كلمتين أوجملتين أو آيتين أو سورتين أو أكثر من ذلك، ومن أبرز هذه العلاقات التناسبية:

النوع الأول: التناسب بين الآيات بعضها مع بعض مرتبة أو متباعدة ضمن السورة الواحدة:

ومن أمثلة المتباعدة: ما أشار إليه الزمخشري ﷺ من علاقة المثلين المذكورين في آخر سورة التحريم ببدايتها لتحضيض سيدتنا عائشة، وسيدتنا حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا على الاقتداء بامرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وتنفيرهما من حال امرأتي نوح ولوط عليهما السلام، وقال: "وإشارة إلى أن من حقهما-أي عائشة وحفصة- أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ"(١).

النوع الثاني: التناسب بين مفردات الآية الواحدة:

كما في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧] إذ يقول النسفي ﷺ فيها: "وقد روعي التناسب في قوله ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كأنه قيل: ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم، وفيه دليل على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة، وإن تباعدت الأجناس والأماكن"(٢)، ولأن الإيمان يجب أن يسبق الاستغفار للغير، فمقتضى الإيمان محبة الخير للآخرين.

ولعلك تسأل: لماذا قال: ويستغفرون، ولم يقل: ويدعون؟

الجواب: لأن الأصل في الملائكة العصمة من الخطيئة؛ فهم لا يعصون الله ما أمرهم، بينما الأصل في البشر الوقوع في الخطيئة، ومجرد الوقوع لا يعني ترك المحبة، والحرص على المخطئ، ولذا بادروا بالاستغفار لهم، ليتوب الله عليهم.

النوع الثالث: التناسب بين الجمل التامة في الآية الواحدة:

ففي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، يظهر استشكال في ارتباط صدر الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] مع وسطها ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد ورد في سبب نزول الصدر "ما أخرجه ابن عساكر ﷺ بسند ضعيف عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عَنَمة، وهما رجلان من الأنصار، قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقًا مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويَدِقُّ حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ في حَلِّ دَيْنِهم، ولصومهم ولفطرهم، وعُدَدِ نسائهم، والشروط التي إلى

(١) الكشاف (٤/ ١٢٧٥).

(٢) تفسير النسفي (٤/ ٦٧).

أجل»[١]، وفي الجزء الثاني من الآية روى البخاري ﷺ عن البراء ﷺ أنه قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾[٢].

وهنا قد تسأل: ما المناسبة التي جمعت بين القضيتين في الآية السابقة؟

فالتمس بعض المفسرين المناسبة بين القضيتين، فقالوا:

١) يحتمل أن ذلك لاتفاق وقوع القضيتين في وقت واحد[٣].

٢) والشوكاني ﷺ الذي شن على علم المناسبات غارة فكرية نقل بعض الأوجه في مناسبة اجتماع هذين الأمرين في آية واحدة منها أن الأهلة ترتبط بدخول الحج.

٣) أو لأن الأهلة ترتبط بالحج وغيره من العبادات، وقد عُيِّر الصحابي الذي رجع من الحج؛ لأنه دخل من الباب، فظهر الاجتماع بين القضيتين.

٤) قال أبو عبيدة ﷺ: إن هذا من ضرب المثل، والمعنى: ليس البر أن تسألوا الجهال، ولكن البر التقوى، واسألوا العلماء، كما تقول: أتيت هذا الأمر من بابه[٤].

وقريبًا منه الاستشكال في التناسب بين الشرط وجزائه في آية واحدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]؛ فربما قيل: ما علاقة القسط في اليتامى ونكاح النساء؟ وقد ناقشت الجواب عن ذلك بتحرير في كتابنا (مفصل بصائر النساء)، وذكرت وكان مما قلناه: "الأصل أن الأطفال يعيشون مكفولين في أسر، وللنساء دورهن الفعال في تربية الأطفال، ولذا ذكر الله شرعية تعدد الزوجات إلى أربع ليقمن بمهامهن في بث الجنس البشري ومنها مهمة الإقساط إلى اليتامى"[٥].

النوع الرابع: التناسب بين المعنى العام ورأس الآية:

"كما في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه قوي عزيز ليدل على أن تلك الريح التي أصابت المشركين ليست اتفاقًا، وليست هي من أنواع السحر، بل هي من إرساله على أعدائه، كعادته وسنته في أمثاله من نصره لعباده المؤمنين"[٦].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٥/١)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٥٣)، ورواه ابن جرير مختصرًا بسند ضعيف عن ابن عباس. تفسير الطبري، طبعة دار الحديث (١٦٩/٢)

(٢) البخاري (١٨٠٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٣٣٩).

(٤) فتح القدير (١/ ٢٩١)، وانظر: الكشاف (١/ ١١٦)، تفسير البيضاوي (١/ ٤٧٤)، تفسير الفخر الرازي (١٣٤/٣).

(٥) مفصل بصائر سورة النساء (٧٤/١).

(٦) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن (ص: ١٣١).

فإن سألت: بماذا سمى ابن أبي الأصبع ﵀ هذا النوع من التناسب؟

الجواب: سمى ابن أبي الأصبع ﵀ هذا النوع: التمكين " ويسمى ائتلاف القافية أن يمهد الناثر للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيدًا تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها"(١).

النوع الخامس: التناسب بين خواتم السور بفاتحة ما بعدها:

مثل: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾(٢) [الطور:٤٩، النجم:١]، و﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥.. لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [الفيل:٥، قريش:١]، وقال الزركشي ﵀: "وهو مبني على أن ترتيب السور توفيقي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة؛ لما خُتمت به السور قبلها، ثم هو قد يخفى تارة، ويظهر أخرى"(٣).

النوع السادس: التناسب بين السورة والسورة التي قبلها:

فمن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها لأن السابقة قد وصف الله ﷻ فيها المنافق بأمور أربعة: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة فذكر هنا في مقابلة البخل ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾أي الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَٱنْحَرْ﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد؛ لأن التسبيح مقدم على التحميد(٤).

وقد يأخذ التناسب بين السورة والتي قبلها صورة تقرب من (تشابه الأطراف) أو (التسبيغ) في الشعر، ومما يمثل له قول ليلي الأخيلية تمدح الحجاج:

إِذَا هَبَطَ الحَجّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً ... تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ الدّاءِ العُضَالِ الذِي بِهَا ... غُلامٌ إِذَا هَزّ القَنَاةَ سَقَاهَا

سَقَاهَا، فَرَوّاهَا بِشُرْبٍ سِجَالُهُ ... دِمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ قَالَ حَمَاهَا(٥)

ومثال ذلك في القرآن أن الله ﷻ ختم سورة آل عمران بالأمر بتقواه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وافتتح سورة النساء بالأمر بالتقوى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

---

(١) الإتقان (٢/ ٢٧٠).

(٢) البرهان (٣٨/١).

(٣) البرهان (٣٨/١).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٩/١).

(٥) أشعار النساء للمرزباني (ص: ٤٦)، تحرير التحبير لابن أبي الأصبع (ص: ٥٢٠).

النوع السابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها:

وهو الذي يسميه البلاغيون: رد العجز على الصدر.

النوع الثامن: التناسب بين السورة واسمها[١]:

واختيار اسم السورة له علاقة بمضمون السورة، وبموضوعها الكلي، فخذ مثلًا لذلك: سورة النساء، فقد تتساءل: لماذا سميت بهذا الاسم؟ وأجيبك: بأن النساء شقائق الرجال، ولا يستغني أحد الزوجين عن الآخر في القيام بـ(بث الحياة الإنسانية)، الذي هو عمود السورة وموضوعها الكلي، فسميت بذلك؛ لتكتسب هذه السورة مكانتها العظيمة في إنصاف المرأة ومنحها مكانتها اللائقة في (بث الحياة الإنسانية)، في سبق لا يمكن مقارنته تاريخًا ولامضمونًا مع العبث الجاهلي القديم والحديث بالمرأة[٢]

هل هناك أنواع أخرى للتناسب؟

الجواب: نعم، فقد أشار السيوطي ﷺ إلى التناسب بين فاتحة السورة وتفاصيلها، ويسمى براعة الاستهلال.

وذكر ابن القيم ﷺ نوعًا آخر هو تناسب اللفظ والمعنى "من غير أن يَكْسيَ اللفظُ الشريف المعنى السخيف، أو على الضد، بل يصاغان معًا صياغةً تتناسب وتتلاءم"[٣].

ويتعلق بهذا علمٌ آخر هو علم المتشابه من القرآن، كالمقارنة في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ [الأنبياء: ٢]، لِمَ قال: (ما) ولم يقل: (لا)، ولم قال: (من ربهم)، ولم يقل: (من إلههم) وفي موضع آخر من الرحمن..."وهو علم جليل، له اتصال بعلم المناسبات، وقد ألف فيه كثير من الأعلام فأجادوا، إلا أنه كغيره من العلوم قد تكلم فيه كثير ممن ليس له براعة فيه، فخبطوا خبط عشواء، في ليلة ظلماء"[٤].

ما القانون الكلي الذي يعرف به المناسبة؟

المبحث الثامن: القانون الكلي لمعرفة المناسبة

ترجع المناسبة إلى معنىً ما رابطٍ بين المتناسبين عامٍّ أو خاصٍّ عقليٍّ، أو حسيٍّ، أو خياليٍّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبَّب، والعلة والمعلول.

وقد وضع قانونَ المناسبة الشيخ أبو الفضل مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي القاسم المَشَدَّالي البِجائي البخاري المالكي (ت٨٦٤هـ)، فقال: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع أجزاء القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار

---

(١) ذكره السيوطي في كتابه (تناسق الدرر)، وجعله النوع العاشر من أنواع التناسب الأربعة عشر (ص ٥٤).

(٢) ينظر تفسيرنا لمفصل سورة النساء (٣٨/١).

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن (ص:١٣٠).

(٤) التبيان لبعض المباحث بالقرآن (ص:٢٩٨).

الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل، بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها"[١].

ولكن قد يفهم من هذا الكلام تقديم الرأي الشخصي، وتكييف الآيات عليه، والأصل التأمل في الآيات أولاً، ثم النظر في كيفية معالجتها للموضوع العام الذي يدل عليه السياق.

المبحث التاسع: أسباب ارتباط الآي بعضها ببعض[٢]:

وقد تسأل: ما أسباب ارتباط الآي بعضها ببعض؟

١) عادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك.

٢) ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه.

٣) وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، لكن بينهما تعاطف...فقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة.

٤) قد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط فتحتاج إلى شرح ،كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] فإنه قد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:١١٤] الآية؟ والجواب: وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي فلا يحرمنكم ذلك واستقبلوها فإن لله المشرق والمغرب، وإذا فسرنا الأولى بعموم المساجد فقريب من هذا التأويل (والامتزاج هنا لفظي لوجود العطف).

٥) ألا تكون معطوفة فلا بد من دعامة معنوية تؤذن باتصال الكلام، فتنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني.

---

(١) نظم الدرر ١/١٨، التبيان ص٣٠١، والمشدالي بفتح الميم والشين وتشديد الدال نسبة إلى مشدالة منطقة غرب مدينة بجاية.

(٢) أنشأ هذا التفكير الرائد بصورة مؤصلة الإمام الزركشي في البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠ ملخصًا، ونقله في الإتقان ٢/ ٢٩٢ بزيادات مفيدة، وحاول تحقيق بعض مباحثه الشيخ طاهر الجزائري في التبيان ص٢٩٦، ولعلك تجد في تعليقي هنا، وفي مقدمة تفسيري المفصل لسورة النساء مهيعًا فسيحًا يحاول أن يخرج عن الصندوق القديم إلى تدبرٍ أوسع.

أسباب الربط بين الجمل في القرآن

فإن قلت: ما أسباب الربط بين الجمل في القرآن؟

الجواب: من أسباب الربط:

أ) **التنظير** فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنفال:٥] عقب قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال:٤] فإن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه ﷺ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير، وهم كارهون...، وقيل: معناه أولئك هم المؤمنون حقًّا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣]...وقيل في الربط غير ذلك.

ب) **المضادة**، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة:٦] الآية، فإن أول السورة كان حديثًا عن القرآن الكريم، وأنه هداية لقوم صفاتهم كذا، ولا يهدي القوم الذين من صفاتهم كذا...فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء...ولهذا لما فرغ من ذلك قال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ الآية فرجع إلى الأول.

ج) **الاستطراد**: كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال

الزمخشري: "هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات، وخصف الورق عليها إظهارًا للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارًا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى"(١).

د) **حسن التخلص**: وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسًا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهم، ومثاله: ما جاء في سورة الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلًا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأعراف:١٥٦] وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله قال: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ [الأعراف:١٥٦] وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله.

فاتضحت الصلة بين ذكر موسى عليه السلام والتائبين من أمته، وذكر النبي ﷺ في السورة، فهو الذي فرج الله ﷻ به عن العباد بالتوبة وغيرها، فوضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وسير الأنبياء تختم به.

هـ) **وذكروا روابط أخرى كالانتقال من حديث إلى آخر**: على أن يخدم هذا الانتقال الموضوع الأساسي، وطريقته أن يتنقل "من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبًا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية... وذلك التفنن مما يعين على استماع السامعين ويدفع سآمة الإطالة عنهم، فإن من أغراض القرآن استكثار أزمان قراءته"(٢)، كما في ضرب المثلين للمنافقين الوارد في أول البقرة.

قاعدة: خصوص السياقِ لا يقتضي تخصيصَ المنساق بالضرورة:

"قال تقي الدين السبكي رحمه الله: وكما أن سبب النزول لا يخصص، كذلك خصوص غرض الكلام لا يخصص، كأن يرد خاص ثم يعقبه عام للمناسبة، فلا يقتضي تخصيص العام، نحو: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء:١٢٨]"(٣) في قراءة ورش(٤) فالصلح خير ولو خارج الأمور العائلية التي ورد السياق فيها.

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان -وفقه الله-:

---

(١) الكشاف (٢/٥٩).

(٢) التحرير والتنوير(١/ ٦٥).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ١٠).

(٤) قرأ الكوفيون ﴿يُصۡلِحَا﴾ بضم الياء، وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف، وقرأ الباقون –ومنهم ورش– بفتح الياء والصاد واللام وتشديد الصاد وألف بعدها. النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥٢).

لاَ يقْتَضـــي التَّخْصِـــيصُ لِلسِّـــياق ضَـــرورَةَ التَّخْصِـــيصِ لِلمُنْسَـــاقِ

قاعدة: يُشترط الزمان في سبب النزول لا في المناسبة:

ومثاله: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فإن مناسبتها للآيات التي قبلها وهي قوله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] أن ذلك إشارة إلى أن كعب بن الأشرف كان قدم إلى مكة، وشاهد قتلى بدر، وحرض الكفار على الأخذ بثأرهم وغزو النبي ﷺ، فسألوه من أهدى سبيلًا النبي ﷺ أو هم؟ فقال: أنتم كذبًا منه وضلالة، فهذه خيانة للأمانة بكتمانهم العلم بل وتحريفه، وذلك مناسب لقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ولا يرد على هذا أن قصة كعب بن الأشرف كانت عقب بدر ونزول الآية في الفتح أو قريبًا منها وبينهما ست سنين لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ولا يشترط في المناسبة لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها[1]، فمن حيث الزمان نزلت آية (٥١) قبل بدر، ونزلت آية (٥٨) في فتح مكة.

وفي هذه القاعدة يقول الشيخ/ الطالب زيدان -وفقه الله-:

في سَـــبَبِ النُّـــزُولِ إِنَّمَـــا اشْـــتُرِطْ دُونَ الْمُنَاسَـــــبةِ وقْتُـــــهُ فَقَـــــطْ

(١) البرهان (١/ ٢٦)، وفي الإبهاج في شرح المنهاج في الأصول (٢/ ١٩٠) كلام شبيه به.

أسئلة تقويمية:

س١: ما المراد بالأقسام والمحاور؟ وما علاقتهما بعلم الاتصال القرآني؟

س٢: اذكر أهمية علم نظام القرآن الكريم، أو علم المناسبات بين السور والآيات؟

س٣: ماذا قال الرازي ﵀ عن أهمية علم المناسبات؟

س٤: ما علاقة (علم الاتصال القرآني) بأصول التفسير؟

س٥: ما أبرز معالم نشأة علم الاتصال القرآني؟

س٦: ما وقف الإمام الطبري ﵀ من علم المناسبات؟

س٧: ما مدى تأثر البقاعي بالحرالّي في علم المناسبات؟ وما موقف ابن تيمية من تفسير البقاعي- رحمهم الله جميعًا-؟

س٨: من أول من أفرد علم المناسبات بالتصنيف؟

س٩: اذكر أهم الكتب المؤلفة في علم المناسبات القرآنية.

س١٠: ما السمات التي اتسم بها كتاب البقاعي ﵀ (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)؟

س١١: عرَّف المناسبة لغة واصطلاحًا.

س١٢: ما الفرق بين تناسب الآيات والسور ونظام القرآن؟

س١٣: من أول من لفت النظر إلى نظام القرآن كاملًا؟

س١٤: عدِّد فوائد علم المناسبات.

س١٥: كيف يمكن الوصول إلى تحديد عمود السورة؟

س١٦: من فوائد علم المناسبات إظهار الإعجاز القرآني. وضح كيف يكون ذلك.

س١٧: اذكر أبرز مَنْ ردَّ علم المناسبات.

س١٨: ما أنواع علاقات التناسب؟ ومثل لكل نوع بمثال واحد.

س١٩: ما القانون الكلي الذي يعرف به المناسبة؟

س٢٠: ما أسباب ارتباط الآي بعضها ببعض؟